

المصدر: عكاظ

التاريخ: ٢٦ أبريل ١٩٩٢



٥ رؤية سياسية

بقلم: د. صدقة يحيى فاضل

نكبة «النظام العالمي الجديد»..؟!:

لقد حطمت «ديسترويكيا» جورباتشوف، دولة الاتحاد السوفيتي.. بشكل كان يصعب حتى مجرد تخيله.. صحيح، ان الاتحاد السوفيتي - كدولة - كان معرضاً للانهار.. نتيجة قيامه على اساس غير مثبته.. ولكن جورباتشوف، تمكن بمساندة امريكا، من قتل ودفن الاتحاد السوفيتي، في وقت قياسي، عبر اطلاق صواريخ «رحمة» خاطفة، عز جسده المنهك.. بدلاً من ضخ «المقويات» اللازمة.. في عروقه، كي ينهض.. ويشهد عوده - كما كانت بيريسترويكيا جوربي تعد السوفييت، وتوهم العالم.

ويزوال الاتحاد السوفيتي، أصبحت الولايات المتحدة الامريكية - وحتى اشعار آخر - هي القوة العظمى الوحيدة، وتحول النظام العالمي.. من نظام القطبية الثنائية (الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة) الى نظام القطب الواحد..

كعرب ومسلمين، كان نظام القطبية الثنائية، أفضل «نسبياً» لنا.. من النظام العالمي الحالي.. فقد كانت الولايات المتحدة (ومعها اسرائيلها) تخشى (قليلاً)، ردود الفعل العربية المضادة لسياساتها في المنطقة.. خاصة وأن الاتحاد السوفيتي كان - في الغالب - مستعداً للوقوف في صف العرب، تحقيقاً لمصالحه.. لو من باب «النكالية» بالولايات المتحدة.. والآن، زال نصير كبير للعرب.. وارتاحت الولايات المتحدة (والغرب)، وبدأت تعمل ماتريد.. دون ان يقف امامها عائق يذكر..

وكعادتها، في استغلال الفرض، والاصطياد في الماء العكر، كانت اسرائيل تستفيد كثيراً من النظام الدولي السابق «نظام القطبية الثنائية الصراعى» بطرق، واساليب شتى.. اهمها: تصوير نفسها - اي اسرائيل - للامريكيين بأنها الضمعة الرئيسية في منطقة الشرق الاوسط، ضد انتشار الشيوعية.. والقاعدة الاساسية، لحماية المصالح الامريكية، و«انجاح» السياسة الامريكية في المنطقة. ونجحت اسرائيل في تقمص ذلك الدور (الوهمي).

ورغم ان انهيار الاتحاد السوفيتي، قد الفى هذا الدور الاسرائيلي المصطنع، الا ان النظام الدولي الحالي، يعطي اسرائيل فوائد اكبر.. لم تتوان اسرائيل لحظة، في استغلالها.. لمصالحها، ومصالح توسعها وعدوانها.. على الامة العربية. لقد انتهى مبرر لعب «دور مقاومة الشيوعية»، من قبل اسرائيل، الا ان النظام العالمي الحالي، يقدم لاسرائيل «مكاسب» ضخمة مختلفة.. معظمها على حساب العالم العربي. ولم يخف زعماء اسرائيل سرورهم البالغ، من تحول العالم، الى نظام القطب الواحد.. وتجسد هذا السرور في كثير من السياسات، منها ما أعلنته اسرائيل مؤخراً، من انها ستقدم لـ «جورباتشوف» جائزة.. قيمتها ٣٥ ألف دولار.. كمكافأة رمزية على «خدماته التاريخية لاسرائيل».. ان المتأمل في مسالة منح هذه الجائزة لجورباتشوف، سيتضح له ان اسرائيل تعطي جورباتشوف هذا المبلغ الشامه - كجائزة رمزية، معبرة عن الامتنان - لأن جوربي قد أسهم في اكساب اسرائيل بلايين الدولارات.. وجلب لها فوائد اخرى عظيمة، لا تقدر بثمن.

وبحصر سريع. له مكاسب، إسرائيل، من زوال الاتحاد السوفيتي. وحلول نظام القطب الواحد... كتنظيم عالمي «جديد»... يتضح ان ما حصل قد افاد اسرائيل. بشكل لم تكن تحلم به. ففي ظل هذه التحولات الكبرى، تحقق اسرائيل عدة مكاسب، من أهمها:

- ١- اضعاف الطرف العربي مستفيدة من الدور الأمريكي (المطلق) في العالم، وعبر زوال نصر قوي، يقف بجانب العرب - ولو شفاة.
- ٢- تمكين اسرائيل من «تطويع» الأمم المتحدة، والسيطرة على توجهاتها. وقراراتها، المتعلقة بالقضية الفلسطينية، والمنطقة العربية.
- ٣- تدفق اليهود السوفيت (دون قيود) على اسرائيل.. في هجرة مكثفة، لم يسبق لها مثيل.. الأمر الذي يساعد في تقوية اسرائيل، وتمكينها من اقامة «اسرائيل الكبرى».. ومما يسهم في تحقيق هذه الغاية الخطيرة، هو تدفق المساعدات الأمريكية والغربية المختلفة. وبمقادير ضخمة، لمساعدة اسرائيل على استيعاب هذه الهجرة.
- ٤- المشاركة في فرض الهيمنة والصاية والسيطرة على المنطقة.

ان ما يجري اليوم في المنطقة، يبين بجلاء، ان اسرائيل تجني هذه الثمار.. وهامو (مثلا) رئيس وزرائها، يقف أمام الملا علنا.. ويبيده مجلد ضخيم. يحتوي على أسماء ٤٠٠ ألف مهاجر يهودي جديد.. بدأوا في القدوم الى اسرائيل، منذ عام ١٩٩٠ م.. وسيكتمل عقدهم هناك، في العام القادم.

ولم يكنف شامير باعلان ذلك، بل انه يفاخر بأن هؤلاء سيتم توطينهم في انصفه الغربية (يهودا والسامرة) وقطاع غزة.. ويلمع بأن ذلك يجب ان يتم عز حساب الولايات المتحدة والعرب.. ليحتفي الجميع فيما بعد، بقيام «اسرائيل الكبرى».. (على حساب حقوق وكرامة العرب).

وهناك احداث وتطورات مريرة اخرى معروفة.. لاتخفى على القاريء.. ولا تخفى أبعادها وملابساتها ومغازيها.

وأراني محتاجا الى اختتام هذا المقال الموجز، بسؤالين موزقين، هما

- ماذا أعد العرب لـ النظام الدولي الجديد؟^{١٤}

- لماذا، والأمر كذلك، يحاول بعض المراقبين الترويج لـ النظام العالمي الجديد، ويحاولون - جاهدين - تزيينه للعامة؟^{١٥}